مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 07/ العـدد: 02/ ديسمبر (2023)، ص.ص.86-94

الشّعرية العربيّة القديمة من الشّفاهية إلى الكتابيّة في ضوء النّقد العربي المُعاصر -كتاب الشّعرية العربية لأدونيس أنموذجا-

AncientArabicpoetryfrom oral to written version in light of contemporaryArabcriticism - Adonis's book of Arabicpoetry as a model-

منال بورقوبة
em.bouragouba@univ-blida2.dz
جامعة لونيسي علي البليدة 2–
مخبر الدّراسات الأدبية والنقدية
(الجزائر)

تاريخ الاستلام:2022/11/15 تاريخ القبول: 2023/04/14 تاريخ النشر:2023/12/02

ملخص:
نسعى من خلال هذه الدّراسة للكشف عن البدايات الأولى لنشأة الشّعرية العربيّة شفويًا ضمن ثقافة سماعية وذلك لارتباطها بالشّعر الذي مثّل الصورة السّائدة للإبداع الأدبي آنذاك. والذي ظلّ ينتقل من خلال الرواية الشفاهية قبل أن يصل إلينا عبر الذاكرة والتدّوين، وهذا ما تمخض عنه التحول المُتَدَرّج من الشفاهية التي مثّلتها ثقافة البدّيهة والارتجال إلى الكتابية نتيجة ما أحدّثه النّص القرآني وما صاحبه من وعي لغويّ مستجد، فضلًا عن ظهور مُصنفات نقدية مُتخصصة أسهمت في تطوير النظّرية الشّعرية العربية.
وامتثالا لهذا الطرح؛ فإننا نستهدف تلخيص موضوع الشعرية العربية من الشفاهية إلى الكتابية مع إبراز محدّداتها عند النقاد القُدماء، وسنعتمد في دراستنا هذه على كتاب "الشعرية العربية" للناقد المُعاصر أدونيس ودراسته لتحولات الشّعرية العربية.
كلمات مفتاحية: الشعرية العربية، الشفاهية، الكتابية، محدّدات، أدونيس.

Abstract:
Throughthisstudy, wewant to shed light and reveal the first beginnings of the emergence of Arabic oral poetrywithin the orality of its culture, due to itsconnectionwithpoetry, whichrepresented the image of creativityat the time, and whichcontinued to betransmittedthrough the oral novelbeforeitreached us throughmemory and recording, and thisiswhatresulted in the gradual transformation of the oral thatrepresentedit. The culture of intuition and improvisation intoscriptures as a result of the Quranictext and itsaccompanying new linguisticawareness, as well as the emergence of specializedcriticalworksthatcontributed to the development of Arabicpoetictheory. In compliancewiththis proposition, weaim to summarize the subject of Arabicpoetryfrom oral to written, highlightingitsdeterminants for the ancien.
Keywords*:Arabicpoetry ; oral ; written ;determinants ; Adonis.*

مقدمة:

تعدّ دراسة التراث النّقدي شأنها شأن بقية الدّراسات، تستلزم وعيًا دقيقا بخلفياته المعرفية، وذلك لاقتناص الأبعاد الدّالة لمُعطياته ومضامينه، وإنّا لا ننكر فاعلية التّكريس العلمي والتشخيص التّصي لمُتابعة المُنجز الشّعري ورصد مُتغيراته وإشكالاته؛ تأسيسًا وتهذيبًا لمُحتواه، وهذا النّوع من القراءات يسعى دائما لتطوير آلياته وتطويعها

بالوجه الذّي يمنحه القدرة على اعتناق التّراث الأدبي واحتواء مُضمراته، فلئن كان الفنّ الشّعري انتقاءً أسلوبيًا مُنتظما فإنّ المنظّور النقدي وعي جمالي بقيمته.

وبتقديرنا؛ فإنّ مُبتغى الوعي النقدي ينصبُ في محاولة تتبع البدّايات الأولى لنشأة الشعرية العربية والتي كانت شفويا ثم انتقلت إلى ثقافة كتابية. وانطلاقا من هذا التّصور فإنا نطرح الإشكالية التالية: كيف انتقلت الشّعرية العربية من الشّفاهية إلى الكتابية؟ وتأسيسًا على هذا الإشكال؛ فقد آثرنا أن نُحيل إلى هذه القضية المطروحة بالاعتماد على مُؤلف الشّعرية العربية لأدونيس.

وما نحيله في مستهل هذه المقاربة؛ أنّ البلاغة العربية لم تستطع أن تفي بغايات الدّراسات الأدبية التي تسعى إلى تفسير واستنطاق النصوص الإبداعية، فاقتضى ذلك تأسيس توجّه فكريّ موضوعيّ يبتغي معالجة مسائلة الإبداع الفنّي، فظهرت" الشّعرية العربية" التي تعدّ من أبرز المسائل النقدية الزئبقية التي تستعصّي على الدّارس حصر دلالتها، حيث أنها كانت تُعنى بدراسة "**نظرية الشعر**"[1] وذلك كونها" **تسعى للكشف عن قوانين الإبداع في بنية الخطاب الأدبي بوصفه نصّا وليس أثرًا أدبيًا ومن هنا تجلىّ الاختلاف في طبيعة تصور تلك القوانين.**"[2] فالشّعرية تقتضي البحث عن منابع الشعر، وذلك انطلاقا من دراسة الأنساق الحاكمة في النّص الأدبي، وبهذا فإنّ الشعرية تسعى لمُعانقة النّص الأدبي لتُفكك بُناه بُغية استنباط العلاقات المُضمرة التي تُساهم في تشكيل وحدة النّص ودلالته العميقة فمن خلال هذا نودُ تتبع انتقال الشّعرية العربية من الشّفوية إلى الكتابيّة وسنركز في دراستنا على النّاقد المُعاصر أحمد سعيد "**أدونيس**"باعتباره من المُهتمين بموضوع الشّعرية وذلك لتقديمه عرض مُتكامل عن الشعرية من خلال مُؤلفاته النقدية التي خصّها لطرح القضية نذكر منها: الثابت والمتحول، مقدمة الشعر العربي، سياسة الشعر، الشعرية العربية ... وقد اتّخذنا كتابه الموسُوم "بالشعرية العربية" كأنموذج لهاته الدّراسة. حيث نُلفي الناقد قد جزء بحثهُ لأربعة محاور رئيسة تُحدد مسار الشعرية العربية وهي:الشّعرية والشفوية الجاهلية، الشّعرية والفضاء القرآني، الشّعرية والفكر، الشّعرية والحداثة. وسنحاول التّركيز على المحورين الأول والثاني باعتبارهما مُنطلق الدّراسة:

1.مرحلة الشّفوية الجاهلية:

يُعتبر العصر الجاهلي الانطلاقة البارزة في تاريخ الأمة العربية، وذلك راجع إلى المكانة التي حُظي بها العرب في مجال البلاغة والبيان، وبلغت فيه أمة العرب شأنًا بعيدًا لهذا يقول ابن رشيق:" **العربُ أفضلُ الأمم وحكمتها أشرف الحكم لفضل اللّسان على اليد والبعدُ عن امتهان الجسد..**ويُضيف على هذا" **وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور...**"[3] وبهذا يكون العصر الجاهلي المعين الذّي يربط الماضي بالحاضر وذلك انطلاقا من كونه الجوهر الأساس الذّي ينبثق منه التّراث الأدبي والنقدي، ومن بين أبرز الظّواهر التي تميز بها العصر الجاهلي" **الشعر**" الذّي عرف نُضجا مكّنهُ من إحراز مكانة رفيعة في السّاحة النّقدية العربيّة، ويؤكّد ابن خلدون في مقدمته على اعتبار الشّعر الأصل الذّي يحتكم إليه وذلك بقوله"**وأعلم أنّ فن الشعر من بين الكلام كان شريفًا عند العرب؛ ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلًا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم**".[4]

وقد أكّد النّاقد جمال الدّين ابن الشّيخ على أنّ الشعر هو المُمثل الأول للشّعرية العربية وذلك في قوله:"**أدب اللّغة العربية القديمة من العصر الجاهلي حتى بداية القرن العشرين هو أدب شعري أساسًا.**" لهذا كان الشعرُ أصدقُ صورة للحياة الجاهلية، وكانت المُشافهة السّبيل الوحيد لإيصال معناه في أبلغ صوره، وبداية الخوض في مسألة الشّعرية العربيّة كان يظهر في الشّعر وهذا ما يُشير إليه أدونيس في دراسته أنّ"**أصلُ الشّعري العربي في الجاهلية نشأ شفويًا ضمن ثقافة سماعية، وإلى أنّه من جهة ثانية لم يصل إلينا محفوظًا في كتاب جاهلي؛ بل وصل مدّونًا في الذّاكرة عبر الرّواية.** "[5] واللّغة الشّفوية هي إحدى أدوات التّواصل حيث تُمثل الأصل الأول ولهذا يُعرف موريس هويس Maurice houis الشّفهية بأنّها؛ "**تلك التي تتميز بترقيم موقع يجعل من السّهل على المُتكلم تخزينها في ذاكرته؛ وعلى الجمهور فهمها.**"[6] فمن خلال هذا يتبيّن لنا أنّ الشّعر العربي كان يجري مشافهة وعلى السجية قبل أن يكون مدونًا حيث يذكر النّاقد أدونيس أنّه" **ولد نشيدا،ونشأ مسموعًا،لا مقروءًا، غناءً لا كتابة.**"[7] وتأسيسا على هذا يكون الشاعر هو النواة المُشكلة لشعرية الشّفوية وذلك انطلاقًا من هاجس"**القبول.**"[8] والذّي أشار إليه النّاقد كونه يُمثل المرحلة الأولى

" الشعرية والشفوية الجاهلية"حيث ينبثق هذا الهاجس من فكرة" **عجز الشعر الجاهلي عن السّيطرة على المكان فخضع له بقبول وتبرير".**[9] وباعتبار أنّ الشعر كان سماعيًّا، فقد كان على الشّاعر أن يُلقي اهتمامًا بالغًا وخاصًا بالسّامع،فلهذا كان يحرصُ على تمحيص وتجويد شعره وإطالة النظر فيه قبل إبرازه بُغية التأثير في المُتلقي وجعله مُعايشًا لتجربة الشّعرية التي يُقدمها الشّاعر من خلال الانتصارات والإنهزامات، العادات والتقاليد...ومن هنا نستنتج أنّ طريقة التّعبير أهم من المضمُون الذّي تحتويه، ذلك أنّ"**فُرادة الشاعر لم تكن في ما يُفصح عنه، بل في طريقة إفصاحه، وكيف أن حظّه من التّفرد وبالتالي من إعجاب السّامع"**[10]، ومن هذا المُنطلق ندرك أنّ الشّعر ليس خلقًا وفعاليته تقوم على الدّال وليس المدلول وهذا ما يُبيّنه أدونيس من خلال قوله"**ومكان الإجادة الشّعرية ليس في المضمون في حدّ ذاته وإنّما في صياغته".**[11]

ثم يطرح النّاقد بعد ذلك فكرة الإنشاد والذّي يعدّه أحد أشكال الغناء وذلك أنّ"**مقودُ الشّعر الغناء"**[12]ويُدرج النّاقد في هذا السّياق قول حسان بن ثابت:[13]

تغنّ في كل شعر أنت قائلهُ إنّ الغناء لهذا الشعر مضمارُ

فمن خلال هذا تتضح العلاقة التي تجمعُ الشعر بالغناء في الجاهلية، مما ساهم في تسهيل عملية الحفظ، وأحال أيضًا ابن خلدون عن هذا في قوله:"**كان الغناء في الصّدر من أجزاء الفن"**[14].

وبعد ذلك يعرض أدونيس فكرة إلقاء الشّعر في مرحلة الشفوية الذّي كانت له تقاليده الخاصة والتي تمثلت في الإنشاد قائما، والقيام ببعض الأفعال والحركات الجسدية بُغية تحقيق الشّعرية الشفوية، موظّفًا أسلوب الخنساء والأعشى كمثال للإجادة في هذا السّياق، وعليه فإنّ نجاح الشاعر يكمُن في قدرته على التبليغ والإنشاد.

وقد تطرّق الناقد بعد ذلك إلى الإيقاع في الشّعر الجاهلي والذّي يُعرفه ابن سينا بأنه:"**هو تقدير لزمان النقرات، فإن اتفق أن كانت النقرات مُنغمة كان الإيقاع لحنيا، وإذا اتفق أن كانت النقرات مُحدثة للحروف المُنتظم منها الكلام كان الإيقاع شعريًا."**[15] معنى ذلك أن العُنصر المُشترك يجمع بين الإيقاعين الموسيقي والشّعري، و يُضيف أدونيس فكرة أنّ الشّعر بدأ مسجوعًا ثم أصبح رجزًا بشطر واحد أو بشطرين لتكتمل الشّعرية الشّفوية بالقصيد الذّي كان يركنُ إلى الوزن الموحد والقافية التي صارت مُقومًا أساسيًا في الشّعر العربي وليس مظهرًا زائدًا، حيث أضفى إيقاع الوزن والقافية على القصيدة القديمة نوعًا من التّناسق والتّناغم الصّوتي والجمالي، إذ يعدّ السّجع الشّكل الأول لشفوية الجاهلية. محيلًا كذلك إلى قضية "الإبداع" ذلك أنّ؛" **إشكالية المجتمع العربي بعامة والثقافة العربية بخاصة أنما هي هيمنة السّائد على المُمكن، هيمنة نزعة التكيّف على نزعة التجاوز، أو لنقل هيمنة بعد الجواب والتقليد على بُعد السّؤال والإبداع."**[16] فمن خلال هذا القول يتبين لنا أن الناقد يُحدد حركية الإبداع وذلك انطلاقًا من مرحلتين:

-الأولى: تُمثّل الثّابت وهي التي كانت في العصر الجاهلي.

- الثّانية: تُمثّل المتحول السائد في العصر الحديث.

زنلفي الناقد حبيب مونسي يُضيف الحديث على قضية الثّبات والتّحول في مؤلفه- نقد النقد- من خلال الانقسامات التي شهدتها الحركة الفكرية والعلمية وذلك انطلاقا من جهتين هما: "**جهة الماضي العربي وجهة الحاضر الإسلامي مع اختلاف الأداة وتوحد المقصد جعل الجهة الأولى تستقل الثّابث وتعمل على تجميعه زادًا، وتنفرد الثّانية بالمتّحول تصطنع له علم الكلام، والحجج العقليّة، بعدما أرست لنفسها أصولًا ترتكز عليها في جولاتها مع الخصوم،"**[17]

ويُشير النّاقد إلى أن التّنظير للشفوية الشعرية الجاهلية كان في البداية كان نتيجة تفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافات الأخرى كاليونانية والفارسية والهندية، وكان الهدف الأساس هو جعل خصوصية بيانية ينفردُ بها الشعر العربي عن شعر الأمم الأخرى وبذلك تتحدد خاصية مميزة لهوية الشاعر والشعرية العربية...

2-1 قضايا الشعرية الشفوية:

ينتقل أدونيس بعد ذلك في دراسته لقضية الشّفوية الجاهلية لتحديد المحاور المُهمة في البحث عن مواضيع الشّعرية العربيّة فيذكر ثلاث قضايا مهمة هي:

-**أ-الإعراب:** بعد أن اختلط العرب بالفُرس دخلت مُفردات وقواعد فارسية على اللغة العربية، فوُضعت القواعد اللّغوية خشية وقوع اللّحن ويتسرّب إلى القرآن الكريم، على إثر هذا يُدرج ابن خلدون قوله بُغية التّقعيد لشفوية

اللغوية"**فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويُلحقون الأشباه بالأشباه. "**[18] فكان بذلك الإعراب عُنصر مهم في التركيب اللّغوي حيث أنّ المعنى لا يستقيم إلاّ بدونه وهذا ما ذهب إليه ابن فارس في قوله:"**فأمّا الإعراب فبه تُميز المعاني ويوقف على أغراض المُتكلمين وذلك أنّ قائلا لو قال:" ما أحسن زيد" غير مُعرب أو " ضرب عمر زيد" غير مُعرب لم يوقف على مُراده."**[19] ويُشير أدونيس في هذه القضية إلى جهود أبو الأسود الدُؤلي باعتباره أول من قام بإعراب القرآن الكريم، وسعى إلى إرشاد النّاس للقراءة الصّحيحة، والخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال مُؤلفه "العين" الذّي عمل فيه على حفظ الموضُوعات اللّغوية وبحثه في أصُول الكلمات وبناء الحركات.

ب-الوزن: إنّ الحديث عن الإيقاع يستدعي حتمًا البحث في الوزن باعتباره مُحرك الإيقاع وذلك لإحداث الانسجام في القصيدة فالوزن حسب ابن رشيق:"**هو أعظم أركان حد الشّعر وأولاها به خصوصية وهو مُشتمل عليها وجالب لها ضرورة."**[20] نُدّرك من خلال هذا القول أنّ الوزن ركن مهم في الخطاب الشعري، ويُوظف أدونيس في هذه القضية جهود الفراهدي في استنباط الأوزان الشّعرية وجعل عمله الإبداعي يكشفُ قدرتهُ وتمكّنه في هذا التّوجّه، ويؤكد الفارابي هذا في كتابه" الموسيقى الكبير" الذّي يُخصصه لعرض واستنباط العلاقة الجوهرية التي تجمع بين الشّعر والوزن إذ يرى الفارابي:"**أنّ الشّعر والموسيقى يرجعان إلى جنس واحد هو التأليف والوزن... وعلاقة الموسيقى بالشّعر ليست مجرد علاقة بالكلام وإنّما هي علاقة مخصوصة."**[21] وعليه فإنّ العلاقة بين الشّعر والوزن ليست اعتباطية.

ج- السماع: يُحدد أدونيس طبيعة العلاقة التي تربط بين الشّفوية والسّماع والتي جعلت من النقد الشعري يتأسس على مبدأ السماع باعتبار أنّ شاعرية الشاعر تظهر في إجادته على الابتكار، إضافة إلى تأثيره في نفس السامع، وهذا تأكيد على طريقة إلقاء الشّعر كما يُعبر عنها الجرجاني:" **تكمُن هذه الطريقة، في مدى تأثيرها على السّامع."**[22] وبهذا فإنّ الشّعر ينبني على جمالية الإسماع والتي تقتضي أنّ"**يستعمل المجاز ما يُقارب الحقيقة ولا يبتعد عنها".**[23]

1-3خصائص الشّفوية الجاهلية:

يتبين لنا من خلال هذه الدّراسة أن جملة الخصائص التي حدّدها أدونيس في مُؤلفه، على اعتبار أنها خصائص الشّفوية الشّعرية الجاهلية التي ساهمت في تأسيسها مُجسدة بذلك صورة الشعرية العربية، والتي تولدت عنها معايير ظّلت مُهيمنة حتى مرحلة الكتابة الشعرية والمُقاربة الذوقية المرتبطة بالشعر، وبهذا يُمكننا أن نُلخص أهم هذه الخصائص في مجموعة نقط مُلخصها:

- النّظرة إلى الصّناعة الشّعرية في المجتمع العربي الإسلامي أرستها الشفوية الجاهلية، وذلك من القصيدة بوصفها"**نداء استجابة، أو جدل دعوة مُتبادلة بين أنا الشاعر ونحن الجماعة كان هناك توافقا مُسبقا بين القصد الذّي يدفعُ الشاعر الجاهلي لتأليف قصيدته، والقصد الذّي يدفعُ الجماعة أو القبيلة لسماعها، وهنا لا فارق بين الشّعر والحياة".**[24]

-يُعتبر الإيقاع خاصية تُضفي على القول الشّعري قوة تربطُ بين الذّات والآخر، وهو خاصية انفرد بها العرب عن غيرهم من الأُمم وهذا ما جعل القصيدة العربية تتميز" **على الصعيد الموسيقي بوضوح الإيقاع وقوته على الصعيد التواصلي، بالتأثير والفعالية، وعلى صعيد الذاكرة، بالتكرار والاستعادة والحفظ."**[25] وهذا ما يؤكد أنّ الوزن في الشّفوية الجاهلية لم يكن قاعدة خارجية فحسب وإنّما هو الأساس، وبهذا يستدعي الإعلاء من الجانب الصّوتي في القصيدة.

- تقديم اللّفظ عن المعنى ممّا يجعل فعالية الشّعر تقع على مستوى اللّفظ وليس المضمون.

2- مرحلة الشّعرية الكتابية:

على الرغم من أن الكتابة تكون في الدّرجة الثانية، وذلك على اعتبار أنّها تستند على اللّغة، كون التّعبير الشّفوي هو الأول، وبهذا لولا الشّفاهية لما ظهرت الكتابية، ومن هنا نستخلص أنّ الكتابية انبثقت من ثقافة البديهة والارتجال ونقلت بذلك الشفوية إلى عالم حسّي يُمثّل له بنص مدّون، ويذكر أدونيس أنّ الشّعرية الكتابية تولدت من هاجس يختلف عن هاجس" **القبول"**الذّي ميز الشفوية الجاهلية وهو هاجس"**التساؤل"**[26]، فبعد أن امتزج العرب بغيرهم كان للشعر الجاهلي تميز خاص وهذا ما أثار جدل حول قضية التّفاعل الثّقافي الحاصل، الأمر الذّي ولد شعور الهوية والإحساس بالتّميز فكان الدّافع الرئيس الذّي ساعد على قراءة الشّعرية الجاهلية، وبذلك تجسدت معايير الشّفوية الجاهلية.

ويعود ظهور هاجس"**التّساؤل**" عند ثلّة من النقاد الذّين لا يخرجون عن معايير الشّفوية الجاهلية والتأكيد عليها لأنّها تُمثّل الهويّة العربيّة والخروج عنها يعدّ انحرافًا وإخلالًا بالشّعر إذ يقول أدونيس:"**ومن هنا انحصر همّهم في تتبّع أشكال استمرار الشفوية الجاهلية، وقراءة الشعر وسماعه في ضوئها، والعمل على تعميم خصائصها وإعطائها طابعا وكانّمطلقا كأنها مُسلمات رياضية،أو مبادئ دينية،وكان على الشعر العربي أن يكون انعكاسا مُتواصلا في المرآة النموذجية : الشعر الجاهلي**".[27]

وفي هذا الإطار يُقدم أدونيس جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي الذّي يعدّ رائد الشفوية الجاهلية على مستوى الإيقاع، والجاحظ على مستوى الخاصية اللّغوية، كما يطرح النّاقد رؤية الجاحظ للّغة العربيّة التي يجد أنّها تفوق لغات الأُمم:"**وأنّ العرب معدنُ الفصاحة التّامة**".[28] والفصاحة عند الجاحظ لا تقتصر على إدراك المعنى فقط وإنّما تتجاوزه إلى اللّفظ وهذا ما يُظهره قوله:" **المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللّفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السّبك، فإنّما الشّعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التّصوير**".[29] وبذلك تكون الشّعرية عنده مقصورة في اللّفظ ومنه تنبع القيمة الشّعرية لأنّ المعنى معلوم عند الكافّة أمّا معيار التّفرد في الشّعر العربي يظهر في لفظه ووزنه.

1.2 القرآن الكريم والشّعرية:

يطرح النّاقد حبيب مونسي وقوف الجابري عند مبدأ " **القطيعة**" الذّي أشار إليه – من خلال النّص القرآني- الذّي أحدث شرخًا وتحولًا جذريًا، نتج عنه نقل الشّعرية العربيّة من الشّفوية إلى الكتابية، وعلى اعتبار أنّه: "**يُمثل القطيعة الجاهلية على مستوى المعرفة، فإنه يُمثل أيضا قطيعة معها على مستوى الشكل التعبير هكذا كان النّص القرآني تحولا جذريا وشاملا: به وفيه، تأسست النّقلة من الشفوية إلى الكتابية**"[30] وبهذا كانت حركة " **النّقلة من الشفوية إلى الكتابية من ثقافة البديهة والارتجال إلى ثقافة الرّوية والتّأمل.**"[31] نتيجة المقارنة التي كانت بين النّص القرآني والشّعر الجاهلي.

وتقديم أدونيس لهذه الدّراسة كان لغرض تبيان الأفق الذّي شقّته الكتابية أمام الشّعرية العربيّة ويوضّح النّاقد موقفه هذا بعرضه جملة من الدّراسات التي سعت للمقارنة بين النّص القرآني والنّص الشعري، والهدف الأساس لهذه التطبيقات يكمُن في إيجاد الفروقات بين النّصين مع التأكيد على تفوق النّص القرآني، لكن وقع الدّارسون في فكرة أنّ النص القرآني نموذجًا أدبيًا يُقابل النّموذج الجاهلي ويتجاوزه، ممّا جعل النّقاد والشّعراء يدعون إلى الاهتداء بالقرآن.

يُضيف النّاقد مونسي؛ أنّ للوضع السّياسي ساهم في تحريك الماضي ممّا ساهم في تجاوز اللّغة إلى الأنساب والأيام فيقول:"**ووجدت الحمية الجاهلية المكبوتة مُتنفسًا لها واسترجعت كامل حريتها، والنّتيجة إعادة بناء" الماضي الجاهلي"بالشّكل الذّي يستجيب لمُتطلبات الحاضر الإسلامي**"[32] ويذكر أنّ العصر الجاهلي يُمثل زمن ثقافي تم استعادته في عصر التدّوين، ومن هنا يتضح لنا أنّ الشّعرية الكتابيّة هي امتداد لشفوية الجاهلية.

الدّراسات التي عُنيت بدراسة النّص القرآني:[33]

الدّارس	طبيعة الدّراسة
أبي عبيدة	مُؤلفه" مجاز القرآن" -درس اللغة القرآنية ضمن حقل مجازي. - يعدّ هذا العمل بداية لنقد.
الفراء	مُؤلفه" معاني القرآن" -بحث فيه عن أسلوب النّص القرآني عللى المستوى التركيبي، وتفسيره لكل سور القرآن. -تقديمه شرحا مُفصلا للآيات مُدعما رأيه بشواهد من الشعر الجاهلي. -تحدث عن موسيقية النّص القرآني.
الجاحظ	-خصص دراسته لنص القرآني من خلال الجانب اللغوي

-

	المجازي، وموسيقية النظم القرآني. -دعم موقفه بمُسلمات من الشفوية الشعرية الجاهلية.
ابن قتيبة	مُؤلفه" مُشكل القرآن" -قدم في دراسته نظرات عميقة في تحليل النّص القرآني. -تحدث عن ما يُحدثه النّص القرآني في النفس.
الرّماني	مُؤلفه" النكت في النّص القرآني" -درس البلاغة برؤية مُغايرة مستندا في ذلك على النّص القرآني. -وضع معيار عميق لجمالية النّص.
الباقلاني	-قدم دراسة مقارنة بين الآية وبيت الشعر. - رأى في النظم القرآني أنّ نمط البيان فيه مُغاير لكلام العرب. -حلل الخطب الدّينية والنصوص الشعرية كمعلقة امرؤ القيس، والبحتري.

يذكر الناقد نور الدّين السد أنّ دراسة الفراء وأبي عبيدة أولت جانب الموازنة بين النّص القرآني والقول الشّعري عناية كبيرة، ولذلك بُغية تدعيم الحجة اللّغوية، والقاعدة النّحوية، ولإبراز الرّأي النّقدي، وتوضيح دلالات الآيات، ومعاني الألفاظ"**ومن هنا كان النّص الشعري يأتي في أغلب الأحيان شاهدا، يدّعم وجهة نظر الدّارس فيما يذهب إليه من تفسير للآيات القرآنية وشرحها وإعرابها..."**[34] ويشير النّاقد إلى اهتمام الدّارس باللّفظ القرآني وانتقائه الشاهد المناسب من الشعر أو كلام العرب.

ينتقل أدونيس بعد ذلك لعرض دراسات تخصّ الشّعر واللّغة مُقابل الدّراسات الخاصة بالنّص القرآني والغاية منه البحث عن الصحة والدّقة بين النّصين، إذ يذكر الناقد البعض من هذه الدّراسات " نقائض جرير والفرزدق" لأبي عبيدة،" جمهرة أشعار العرب" للقرشي،" نقد الشّعر" لقدامة بن جعفر،" الصناعتين" لأبي هلال العسكري، يُضيف بعد ذلك الناقد الجانب الذّي تسعى هذه التطبيقات لإظهاره وهو أن الإنسان بإمكانه أن يصدر نصا يُضاهي النّص القرآني، وهذا ما تبنّته فرقة المُعتزلة بقولهم:"**إنّ نظم القرآن ليس بمُعجزة، فإنّ العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن."**[35] هذا ما يُبين لنا أنّ النّص القرآني كان المُنطلق الأول للنّقاش في مسألة البيان وفنّية القول؛ نستنتج من خلال الدراستين مايلي:

- الأولى كانت في إطار الشّفوية الجاهلية وذلك انطلاقًا من قراءة النّص القرآني في ضوء بلاغة الشّعر إلى الشّعر الجاهلي في ضوء بلاغة القرآن، فاكسبوا من خلال هذا الشّعر الجاهلي صفة النّموذج" **وقد أعطوا للأسلوب الجاهلي الشعري اسما يرمُز إلى ما يُفرد الشعرية العربية عن غيرها، هو طريقة العرب".**[36]
- الثّانية تمثّلت في ثقافة القراءة والتي أطلق عليها مفهوم" الشّفوية الكتابية"وهي امتداد لشعرية الشّفوية فأنصار هذا الطّرح كانوا يصفُون القرآن بأنّه نّص كوني يُمثّل ثقافة ورؤية شاملة تُمثل في الوقت نفسه لغة الشّعر الجاهلي"**التّعالي والمُحايثة في آن".**[37]

يتحدث أدونيس بعد ذلك عن دّراسة الصُولي ومحاولته في الدّفاع عن الشّعرية الكتابية، وذلك بعرضه لطريقة أبي تمام الشّعرية " الطريقة المحدثة" التي تجاوزت النموذج الشّعري القديم مُؤكدًا بذلك على أمور منها[38]:

- ابتكار الشّعراء المُحدثين لمعان جديدة لم تعرفها الشّفوية الجاهلية.
- معيار التّقويم مبني على جودة النّص الشّعري.
- التّرسانة الثّقافية التي يجب توفّرها في النّاقد.

ليصل في الأخير لتأكيد تفوق أبي تمام في طريقته الشّعرية المُحدثة، بيد أنّ الجرجاني قد أعطى للشّعرية الكتابيّة شكلًا نقديًا جديدًا يتمثّل في فكرة " النّظم"ومفادها" **تعليق الكلام بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض"**[39] جاعلا بذلك من النّظم أساسًا للكشف عن الشّعرية الكتابيّة، ويُؤكّد هذا بقوله:"**نظم الكلام يقتفي فيه آثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النّفس"**[40]، حيث كان لقضية إعجاز القرآن أثر كبير في بلورة فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني وذلك بعد امتزاج العرب بغيرهم، وازدهرت حركة التّرجمة فظهرت فرقة كلاميّة – المعتزلة- والتي يُمثلها الجاحظ الذّي كانت له إسهامات البحث في النّظم القرآني الذّي يتميز عن كلام العرب، ويقدم أدونيس في سياق حديثه عن النّظم عند الجرجاني أمران هما: أنّ الشعرية في المقام الأول تظهر في طريقة إثبات المعنى، والأمر الثاني يظهر في أنّ الشّعرية لا تتمُ بالسّماع وحده وانّما يستلزم النّظر إلى النّص بالقلب[41].

يعدّ المجاز أحد أبرز الوسائل البيانية التي تهدي إليها الذائقة العربية بُغية إيضاح المعنى، وللّغة المجازية درجات أرقاها الاستعارة والتي تعني كما أوردها القزويني" **ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له."**[42] حيث يكمن تأثير اللّغة المجازية على النّفس كما يقول الجرجاني: "**إنّ الطبع مبني على الشّيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له، كانت النّفس أكثر إعجابًا به "**[43].

يظهر مما سبق ذكره أنّ جينيالوجيا الحداثة الشّعرية والكتابيّة كامنة في النّص القرآني، حيث أن الشّفوية الجاهلية تُمثّل القدم الشّعري والنّص القرآني هو أساس النّقد الجديد لدراسة النّص، وذلك لما أضفاه من علم الجمال الذّي مهّد لظهور الشّعرية الجديدة، ويُضيف أدونيس في هذا الجانب تأثير النّص القرآني الذّي أحدثه في النّص الصّوفي"**عرفنا كيف أن الكتابة القرآنية ولدت تذوقًا جديدًا للّغة الفنّية،وممارسة كتابية جديدة."**[44] وهذا يعني أنّ الدّراسات القرآنية كانت المُنطلق الأول لدراسة شعرية اللّغة العربية.

يُضيف ابن الشيخ في حديثه عن إسهامات علماء الدّين واللّغة في اعتمادهم منهج الإجماع وتطبيقه في الأدب وذلك من مُنطلق أنّ" **المعرفة المتعلقة بالشّعر ينبغي أن تتشكّل في علم يقع تحت سلطة العلماء."**[45] وهنا يُظهر النّاقد الجانب الإيديولوجي الذّي يعدّ من أهم محدّدات الشّعرية العربية ، مُحيلًا بذلك إلى دور القرآن الكريم في تكوين الشّعراء، ومن ثم يذهب ابن الشيخ لدحض فكرة ارتباط الإبداع بالقوى الميتافيزيقية، وهذا ما نصّت عليه الثّقافة العربيّة الإسلامية.

2.2 المبادئ الجمالية للنّص القرآني:

يعرض النّاقد أهم المبادئ الجمالية التي نتجت بتأثير النّص القرآني، والتي ساهمت بدورها في انتقال الشّعرية العربيّة من الشّفوية إلى الكتابيّة نذكر منها:

- مبدأ الكتابة دون احتذاء نموذج مسبق" **ضرورة اكتشاف أفاق غير معهودة في طرق التعبير، والغوص في أعماق النّفس، ومارية الأشياء والعالم"**
- اشتراط الترسانة الثّقافية لكلّ من الشّاعر والنّاقد.
- النّظر للنّص القديم والمُحدث في معزل عن السّبق الزّمني، مع تقويم جودته الفنّية في ذاته.
- ظهور نظرية جمالية جديدة تكمُن في النّص الغامض الذّي يتضمن معاني وتأويلات عديدة.

الخاتمة:

ممّا تقدم نستخلص جملة من النقط ملخصها :

- نقل الشّعرية من ثقافة سماعية إلى مدلول جديد أساسه ثقافة التلقّي والمقروئية.
- الشّعرية الكتابية هي امتداد لشفوية الجاهلية.
- الوزن ليس ظاهرة خارجية في الشفوية الجاهلية وإنما هو قاعدة أساسية في بناء القصيدة.
- يعدّ النّص القرآني المُنطلق الأول في تأسيس الشّعرية الكتابية.
- ترتبط جذور الحداثة الشّعرية والكتابية بالنّص القرآني وذلك لأنّه أضفى علم الجمال الذّي كان سبب في ظهور الشّعرية العربية الجديدة.

-

[1]-عبد الله العشي: أسئلة الشعرية –بحث في آلية الإبداع الشعري- منشورات الاختلاف،ط1 ،الجزائر ، 2009، ص148.
[2]-حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، ط1،دار البيضاء،1994، ص33.
[3]-ابن رشيق القيرواني: العمدة، ج1،ط حجازي، ص 07-08.
[4]-عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت1422هـ/ 2001م، ص 586.
[5]-أدونيس: الشعرية العربية،دار الآداب بيروت –لبنان،ط1، 1985،ص 05.
[6]-لويس جان كاليفي: التقاليد الشفهيّة – ذاكرة وثقافة- تر: رشيد برهون، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث،ط1، 2012، ص 63.
[7]-المرجع السابق، ص 05.
[8]-أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة بيروت،ط3،بيروت لبنان،1989، ص 13.
[9]- المرجع نفسه، ص 15-16.
[10]-أدونيس: الشعرية العربية، ص 06.
[11]-أدونيس: الثابت والمتحول- الأصول- ص 157.
[12]-المرجع السابق، ص 07.
[13]-المرجع نفسه، ص08.
[14]-المرجع نفسه، ص 08.
[15]-الهاشمي علوي:فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت لبنان، 2006، ص 141-142-143.
[16]- أدونيس: سياسة الشعر،دار الآداب ، ط1، بيروت –لبنان، 1996، ص134.
[17]-حبيب مونسي: نقد النقد- المنجز العربي في النقد الأدبي دراسة في المناهج- دار التنوير، ط1، الجزائر، 2014، ص 23.
[18]-أدونيس: الشعرية العربية، ص 15.
[19]-ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق أحمد صقر،مطبعة الحلبي، 1985، ص 310.
[20]-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة، ج1، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد،دار الجيل ، ط5، بيروت ،1981، ص 289.
[21]-أدونيس: الشعرية العربية، ص 18.
[22]المرجع نفسه، ص 23.
[23]-المرجع نفسه، ص 23.
[24]-المرجع نفسه، ص 27.
[25]-المرجع نفسه، ص 27.
[26]-أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ص39.
[27]-المرجع السابق، ص 34.
[28]-المرجع نفسه، ص 34.
[29]-أبو عثمان عمرو بن الجاحظ: الحيوان،ج3، تح:عبد السلام هارون، مكتبة البابي الحلي، مصر، ص 131.
[30]-أدونيس: الشعرية العربية، ص35.
[31]-حبيب مونسي: نقد النقد، ص20.
[32]-المرجع نفسه، ص21.
[33]-ينظر: أدونيس: الشعرية العربية، ص 39،38،37،36.
[34] - نور الدّين السد: الشعرية العربية –دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي-ج1، ديوان المطبوعات الجامعية،2007 ،ص 189.

[35]-أدونيس، الشعرية العربية، ص 41.
[36]-المرجع نفسه، ص 41.

[37]-المرجع نفسه، ص42.
[38]-ينظر: أدونيس: الشعرية العربية، ص43.
[39]- المرجع نفسه، ص 44.
[40]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،ط2، بيروت،
[41]-المرجع السابق، ص 46.
[42]-سعد الدّين التفتازاني: شروح التلخيص،دار الكُتب العلمية،بيروت، مج 4، ص 45.
[43]-أدونيس: الشعرية العربية، ص 48.
[44]-أدونيس: الشعرية العربية، ص 51.
[45]-جمال الدّين ابن الشيخ:الشعرية العربية(تتقدمه مقالة حول خطاب نقدي)، تر:مبارك حنون ومحمد الولي ومحمد أوراغ، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1996، ص 07-08.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة،ط5،بيروت ، لبنان،1981.
2-ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق أحمد صقر،مطبعة الحلبي، 1985.
3-أبو عثمان عمرو بن الجاحظ: الحيوان،ج3، تح:عبد السلام هارون، مكتبة البابي الحلي، مصر.
4-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة، ج1، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد،دار الجيل ، ط5، بيروت ،1981.
5-أدونيس: الشعرية العربية،دار الآداب بيروت –لبنان،ط1، 1985.
6-أدونيس: سياسة الشعر،دار الآداب ، ط1، بيروت –لبنان، 1996 .
7-أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة بيروت،ط3،بيروت لبنان،1989.
8- جمال الدّين ابن الشيخ: الشعرية العربية(تتقدمه مقالة حول خطاب نقدي)،ترجمة: مبارك حنون ومحمد الولي ومحمدأوراغ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.
9-حبيب مونسي: نقد النقد- المنجز العربي في النقد الأدبي دراسة في المناهج- دار التنوير، ط1، الجزائر، 2014 .
10-حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، ط1،دار البيضاء،1994.
11-سعد الدّين التفتازاني: شروح التلخيص،دار الكُتب العلمية،بيروت، مج 4.
12-عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت1422هـ/ 2001م.
-13عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،ط2، بيروت.
14-عبد الله العشي: أسئلة الشعرية –بحث في آلية الإبداع الشعري- منشورات الاختلاف،ط1 ،الجزائر، 2009.
15-لويس جان كاليفي: التقاليد الشفهيّة – ذاكرة وثقافة- تر: رشيد برهون، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث،ط1، 2012.
-16نور الدّين السد: الشعرية العربية –دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي ج1، ديوان المطبوعات الجامعية،2007 .
17-الهاشمي علوي:فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت لبنان، 2006.